

التواصل العلمي بين الدولة المرينية والدولة النصرية

أ. لأمعة زكري

قسم التاريخ والآثار

- جامعة تلمسان -

ظلت العلاقات الثقافية والتبادل العلمي بين المغرب والأندلس في نمو وازدياد منذ الفتح الإسلامي وطيلة فترة العصور الوسطى، فلقد كانت حواضر المغرب الأقصى خاصة فاس ومراكش تستقبل الطلاب والعلماء الوافدين إليها لأنها كانت مراكز إشعاع تتوفر على عناصر الجذب الثقافي، من حيث كونها مقر للحكم والسلطان وميدان الحركة العلمية والمؤسسات التعليمية، واستمر تنقل الأساتذة والشيوخ والطلاب بينهما في أوقات الأزمات السياسية².

1- مميزات الرحلة العلمية المرينية :

لقد شهد المغرب الأقصى توافد الكثير من الرحالة إلى الأندلس. وذلك لأنه شغف بعض أهل العلم بالرحلة في طلب العلم، دافع مهم إلى المغادرة والالتقاء بعلماء الأندلس والأخذ عنهم، فلقد توطدت العلاقة بين البلدين وذلك بفعل الرحلات العلمية بمختلف فئاتهم من الطلبة والعلماء، والتقاءهم في غرناطة ما مكن من نسج علاقات متنوعة بينهما ونتيجة ذلك حدث تبادل ثقافي واسع النطاق، شمل الميادين الدينية والروحية والعلمية والفنية بمختلف جزئياتها ومركباتها، وكان هذا التبادل بين البلدين عملية أخذ وعطاء وتأثير من

الجانبين، فلقد ساهمت الرحلة العلمية المرينية في إثراء الحضارة المغربية والإسلامية وأصبح المرينيون يأخذون من الغرناطيون بقدر ما كان الغرناطيون يأخذون منهم من العلوم والتأثيرات الثقافية والفنية المختلفة³.

لقد كانت حواضر الأندلس معروفة عند طلاب العلم والعلماء على اختلاف جنسياتهم وديانتهم فقد وفد على الأندلس أعداد كثيرون من طلاب بني مرين، فهم اللذين كانوا وسيلة اتصال مهمة في التفاعل الحضاري بين الأندلس والمغرب الأقصى، بما تعلموه وترجموه إلى لغاتهم من نتاج الأندلس الفكري والحضاري، فلقد كانت دور العلم الأندلسية مراكز فعالة في تبليغ العلوم وتوصيل المعارف إلى الناشئة دون تمييز مذهبي أو عقائدي⁴.

أما بالنسبة للمدارس التي خصصت لتعليم الطلبة الوافدين والعلماء، فكانت أشهرهم المدرسة النصرية أو اليوسفية بغرناطة، فهي تعد من أشهر مدارسها في القرن الثامن الهجري حيث درس فيها كبار العلماء والقراء وبناها السلطان أبو الحجاج يوسف سنة (733-755هـ) وذلك بناء على مبادرة من حاجبيه رضوان النصرى عام 750هـ، فلقد تخرج من هذه المدرسة العظيمة جمهرة من أكابر العلماء المرينيين وكانوا أواخر إشعاعه في الثقافة الأندلسية قبل أن يرحلوا إلى ديار المغرب، فينقلوا إليها علومهم وآدابهم وفنونهم وينشروا فيها نهضة علمية واسعة، وبذلك أصبحت الأندلس في مجال الفكر والثقافة موردا خصباً للمغرب، قاذحة أفكار أبنائه بشتى المعارف والفنون، فسادت العلوم والفنون الأندلسية في المغرب فأصبحت فاس ومراكش أشهر حواضر المغرب ومنتدى

الأدباء والشعراء وملتقى العلماء والحكماء على اختلاف طبقاتهم وتباين مشاربهم⁵. كانت الرحلات العلمية بين المغرب الأقصى والأندلس الخاصة بطلب العلم والتعليم أمراً شائعاً، حيث كانت فكرة ضرورة للأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه ولها أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة، فلم يكتف الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنما حرص أن يقرأها عليه أو يسمعها منه، حتى يكون قد تفقه في مادته وصحبه في علمه⁶. وشملت الرحلة العلمية تدفق طلاب العلم من مدينة فاس ومراكش خاصة إلى الأندلس، كما أسهمت المصادر الإسلامية وكتب التراجم في الحديث عن طلاب العلم الذين وفدوا على الأندلس من مدينة فاس لينهلوا العلم من معاهدها. حتى أن الكثير من العلماء وقضاة فاس كانوا ممن تلقوا تعليمهم في مراكز العلم الأندلسية⁷. وساعد على تنشيط الرحلة العلمية إنشاء المكتبات العامة والخاصة، خاصة بعدما كان أصحابها يفتحون أبوابها لطلبة العلم، وهكذا تجلت النهضة العلمية في المكتبات العديدة⁸. وتدل المكتبات وما تزدهر به من مؤلفات على مدى ازدهار الحركة العلمية والفكرية بالأندلس، وبذلك أسهمت المكتبات في دفع طلبة العلم إلى الاقتناء منها وبالتالي تزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه من مدد في مختلف فروع المعرفة، كما كانت جوامع الأندلس معروفة ومشهورة لهذا رحل إليها علماء المغرب الأقصى وطلابها لتلقي دروس شيوخ الأندلس، فكثيراً ما عقدت به حلقات علمية حيث كان جملة من علماء المغرب الأقصى يدرسون العلم في مواضع منه⁹، فلقد كانت أيضاً المدارس تقوم بمهمتها في إيواء طلبة

العلم وتشقيفهم إضافة إلى وجود الوصايا الوقفية، دلالة على أنها كانت ملاذا للواردين عليها من سائر الجهات لتلقي العلم بها¹⁰.

2- الحركة العلمية المرينية ومشاهير العلماء:

انعكست حركة إنشاء المؤسسات الثقافية والتعليمية ورعاية سلاطين الدولة المرينية للعلم والعلماء إيجابيا على الحركة العلمية بالمغرب الأقصى، فازدهرت العلوم وكثرت التأليف، واشتهر الكثير من العلماء في عدة تخصصات علمية ودينية وذلك عن طريق رحلاتهم إلى غرناطة.

أ. العلوم الدينية:

كانت العلوم الدينية تلقى رعاية الطلاب والعلماء نظرا لما كانت توفره لصاحبها من مركز في المجتمع والدولة، كما كانت تعتبر من الضروريات التي على الفرد تعلمها لأهميتها في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية. ولذلك وجد طلاب العلم والعلماء ضرورة دراسة العلوم الدينية في المغرب الأقصى وحتى في غرناطة ومن أبرز الرحالة المرينيين في العلوم الدينية إلى غرناطة:

▪ إبراهيم بن عبد الرحمن: وهو تلميذ أبي الحسن الصغير¹¹ جلس لتدريس مذهب مالك بمدرسة عدوة الأندلس، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة¹².

▪ أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفريني (753هـ): واشتهر بالمكناسي وهو أخو أبي الحسن الطنجي، وهو أستاذ فقيه، أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن القاسم بن محمد الأنصاري المالقي الشهير بابن القاسم رحل إلى الأندلس للأخذ عنه¹³.

■ محمد الطاهر الحسيني: وهو من أهل فاس روا عن ابن جبير وابن الرمانة وكان عالما بأصول الدين وأصول الفقه ومسائل الخلاف ولي القضاء ورحل إلى الأندلس، ولقد مدحه جماعة من فقهاء الأندلس وأعلامها¹⁴.

■ القباب: وهو من عدول فاس فقيه سديد الفهم ولي قضاء جبل طارق، متصفا بجزالة ورحل إلى غرناطة عام 762هـ، وذلك من طرف سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن¹⁵. أخذ عن الحافظ السطحي وأبي الحسن بن فرحون المدني والقاضي القشتالي وعن الإمام الشاطبي¹⁶، وله عدة مؤلفات مثل: اختصار أحكام النظر لابن القطان أسقط فيه الدلائل والاحتجاج وشرحه على القواعد في غاية الإتقان.

■ محمد بن أحمد بن عبد الملك القشتالي الفاسي: ت 779هـ، رحل إلى الأندلس فذاع فضله وعلم قدره¹⁷، وكان عالما بالفقه مسددا في الفتاوى وعارفا بأخذ الشروط، أخذ عن المحدث ابن جابر الوادي أشي وأبي عبد الله بن أجروم وله تأليف في الوثائق وكلام في الدعاء بعد الصلاة.

■ عبد النور بن محمد بن محمد الشريف العمراني الفاسي: ت 685هـ كان عالما بالفقه وفي أصول الدين وكان من أهل الشورى ومقدميهم أفصح من لسانه. رحل إلى الأندلس أخذ عن المحدث الأندلسي أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي، وأبي عبد الله محمد بن يحيى الحسن. وله عدة فتاوى نقل عنه بعضها في المعيار¹⁸.

■ أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفريني المكناسي: ت 753هـ، كان عالما بالفقه وهو أخو الشيخ أبي الحسن الطنجي شيخ الحافظ السطحي، أخذ عن الأستاذ أبي

عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الأنصاري المالقي، وهو نزيل مكناسة¹⁹، رحل إلى الأندلس للأخذ عنه توفي بمدينة فاس²⁰.

▪ يوسف بن علي بن عبد الرحمن ابن محمد ت 615م: وهو من أهل فاس يكنى أبا الحجاج الأصولي الجليل أجازته ابن بشكوال وأجاز له عبد الحق الأزدي، وقرأ علم الكلام وأصول الفقه ولقد كان له صيت عظيم بالمغرب والأندلس، وكان فقيها معروفا وأديبا عارفا بالمغازي والسير ذاكرا للتاريخ²¹.

▪ عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف بن عيسى بن قاسم الأزدي الزهراني المهلب: ت 603هـ، وهو من أهل فاس وجلة أعيانها يعرف بابن الملحوم وهو من أهل العلم والدين والفضل، أجازته ابن بشكوال الفقيه بقرطبة ودخل إلى الأندلس مرارا لطلب العلم والجهاد ولقي باشيلية وقرطبة جماعة من الفقهاء والمحدثين وحدث بفاس، وجلس للتدريس بها والرواية فأخذ عنه الناس²².

▪ محمد بن يوسف بن عمران المزدغي: ت 655هـ وهو الخطيب بجامع القروين وسيد علمائه وزمانه، رحل إلى الأندلس فقرأ بقرطبة واشيلية وكان عالما بالنحو واللغة ذاكرا للتاريخ والأدب، كما اقتصر على إلقاء الحديث والتفسير حيث كان إماما في تفسير القرآن وله تأليف عديدة²³.

ب. العلوم اللسانية:

▪ عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عيسى بن يوسف: (ت 605هـ) وهو من أعيان فاس رحل إلى الأندلس عدة مرات لطلب العلم، حيث لقي جماعة من العلماء والمحدثين بالأندلس، حيث أخذ عنهم وكان له اعتناء بالتاريخ والأنساب ومعرفة

بالشعر والنحو واللغة وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل المغرب²⁴.
 ■ الزكي يوسف بن الحكم: وكان من أهل الأدب ومشاركاً في علوم كثيرة أخذ
 عن جماعة من فقهاء وأدباء الأندلس وإفريقية، وولاه الأمير عبد الواحد قضاء
 فاس²⁵ حيث كان هذا الأخير يحب الشعر ويروي كثيراً منه ويأخذ نفسه بنظمه
 حيث نظم البيتين في معنى الافتخار²⁶:

أجود بمالي لكل العفاة * وأقتحم الهول في المعضلات.
 أقود الجيوش وأصلا الحروب * وأقتطف الهام بالمرهفات.
 وأحمي ثغوري من أن تنال * وأغزو وأنهب أرض العداة.
 ■ أحمد بن محمد بن علي التجيبي السبتي أبو العباس الشهير بابن القراق: ت725هـ
 وهو الشيخ الحاج الكاتب الأديب الحافظ الصدر، كان من أبرز الأدباء القدماء،
 رحل إلى الأندلس وكتب عن أمرائها، وكان كثير النظم في النبويات وغيرها²⁷.
 ■ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الأشقر الفاسي: وهو الأديب الشاعر الكاتب،
 رحل إلى الأندلس وقرأ على الأستاذ ابن آجروم وكان ذاكر بالتاريخ
 وتوفي بفاس²⁸.

■ عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف الفاسي: كان عالماً بالنحو واللغة
 والرواية وكان ناظماً وناثراً وشاعراً، رحل إلى الأندلس وأخذ عن أحمد بن عبد
 الحق الجدلي والإمام الولي أبي عبد الله الطنجالي والقاضي أبو بكر بن منظور
 وأخذ عن الخليل الحافظ أبي القاسم بن الجزري وقرأ عليه كثيراً من كتب

القراءات وأبعاضاً من الموطناً ومسلم والترميدي والنسائي²⁹.
 ▪ أحمد بن علي الملياني: ت 715هـ وكان كاتباً وشاعراً أخذ بحظ من الطب وهو من أهل مراکش، ويكنى أبو العباس رحل إلى تلمسان ومنها إلى الأندلس حتى توفي بغرناطة³⁰.

ج. العلوم العقلية:

- عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي: ت 810هـ كان إماماً في الفرائض والحساب فهو من صدور العلماء، كان له مجالس يحضر فيها كمجلس الحافظ الفقيه القباب في الحديث والفقه والكلام، تولى الخطابة عندما رحل إلى الأندلس.
- موسى بن علي الأنصاري أبو عمران بن العقدة (ت 711هـ): وهو الفقيه الفرضي الحسابي، وقد ذكره الونشريسي في وفاته بالفقيه الفرضي³².
- أحمد العباس أحمد بن شعيب: وهو طبيب وأديب وإمام في التعاليم له معرفة كبيرة بالأشجار والنبات ويحسن الكتابة لأنه بارع في الخط، واستخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة³³.
- عبد الرحمن الهزميري أبو زيد (ت 705هـ): وهو عالم بالهندسة ولقد كان يقصده الشيخ ابن البناء فيما يشكل عليه من مسائل الهندسة³⁴.
- ابن البناء: ت (654-721هـ/1256-1321م): وهو عالم في الرياضيات والفلك والتنجيم والطب، كما درس ابن البناء³⁵. النحو والحديث والفقه ودرس الطب والفلك والرياضيات في فاس، ومن أعماله أنه أوضح النظريات الصعبة والقواعد المستعصية وقام ببحوث عن الكسور، والأعمال الحسابية، وجاء في دائرة

المعارف الإسلامية أن ابن البناء قد تفوق على من سبقه من علماء الرياضيات من العرب في الشرق، وخاصة في حساب الكسور، كما عدّ من أهم الذين استعملوا الأرقام الهندسية في صورتها المستعملة عند المغاربة. ألف ابن البناء أكثر من سبعين كتابا في الحساب والهندسة والجبر والفلك والتنجيم، أشهرها كتاب تلخيص أعمال الحساب³⁶ مقالات في الحساب، كتاب الجبر والمقابلة كتاب الفصول في الفرائض، منهاج الطالب في تعديل الكواكب.

- إبراهيم بن المصمودي: ت 913هـ وهو الفقيه الفرضي متقدم في الفرائض والحساب وأخذ عن جماعة من العلماء الأندلسيين إضافة إلى عبد الحق المصمودي³⁷.
- محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني الفاسي: ت 839-918هـ وكان عالما في علم الفرائض والحساب تولى قضاء فاس أزيد من ثلاثين سنة، كان فاضلا ذا سياسة وهو من بيت علم من ذرية أبي الحسن الطنجي المعروف بالمكناسي³⁸.

1- مميزات الرحلة العلمية النصرية :

كانت رحلات وتنقلات العلماء الأندلسيين إلى المغرب الأقصى، لمزيد من الاستفادة من المناظرات والتدريس في المساجد والمدارس والزوايا، كما كانت حركة العلماء الأندلسيين، متأثرة بالظروف السياسية والثقافية والاجتماعية، لذلك نسجل تفاوتاً في إحصاء عدد العلماء الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى المغرب الأقصى عبر فترات تاريخ الدولة المرينية والنصرية، فلقد كان العلماء الأندلسيين الذين يرتحلون إلى المغرب الأقصى ينسجون علاقات ثقافية وعلمية قوية مع علماء بني مرين وذلك من خلال الجلسات العلمية المختلفة والتي كانوا يتبادلون

فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات خاصة في المسائل الفقهية والعلمية. وكانت هذه الجلسات تتم داخل المؤسسات التعليمية مثل: المساجد والمدارس والزوايا.

كان علماء الأندلسيين عادة ما يعرض عليهم سلاطين بني مرين الوظائف العلمية كالتدريس والإعادة بهذه المؤسسات، فاختلطوا وتبادلوا المعارف مع الفقهاء المرينين وبذلك توسعت المعارف العلمية لدى علماء البلدين.

لقد ازدادت الرحلات العلمية الأندلسية إلى المغرب الأقصى، خاصة بعدما أصبحت الأندلس تعاني من هجوم النصارى، حيث ازدادت هجرات علماء الأندلس فرارا من المعارك الطاحنة، مما دفع العلماء إلى الانتقال إلى مدن المغرب عامة والمغرب الأقصى خاصة وذلك بحكم القرب الجغرافي لينعموا بالاستقرار فضلا عن التكريم والترحيب من ولاة الأمر³⁹.

وكان لهذا الاحتكاك أثره في توجيه أنظار أهل البلاد إلى الأخذ بأسباب العلوم، فراحوا يقتبسون من علماء الأندلس ويأخذون بأدواتهم وما لبثوا أن شاركوهم في جميع العلوم، كما شهدت مدينة فاس هجرات كثيرة إلى مختلف المدن المغربية وكان أغلب هذه الهجرات من أجل التعليم والتدريس، وطلب العلم بالمدينة وهذا مما دفع المراكشي بأن يصفها «بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه»⁴⁰.

لقد عرفت مدن المغرب الأقصى توافد الكثير من الأندلسيين، خاصة وأن غرناطة كانت تفتقر إلى المؤسسات التعليمية التي تقوم بتقديم العلوم والمعارف

للطلبة، ولم تكن بها إلا مدرسة واحدة هي المدرسة النصرية⁴¹. حيث كان الأندلسيون يقومون بالتعليم في المساجد على الأخص⁴². لقد كان ملوك بني مرين وبني نصر علاقات متينة، مما سمح لهؤلاء العلماء والطلبة بالتنقل بمدن المغرب الأقصى. بل فضل بعضهم الاستقرار بها وذلك لمزاولة نشاطهم العلمي، ولقد أصبح هؤلاء صيت ومكانة كبيرة في فاس. كما كانت هناك دوافع جعلتهم يرحلون إلى المغرب الأقصى أهمها تدهور الأوضاع السياسية بالأندلس، وذلك بعد سيطرة النصارى على مدنها⁴³، حيث ذكر الكثير من العلماء الأندلسيين في كتبهم ومصنفاتهم، أنه من أهم أسباب رحلتهم هو تغلب النصارى على مدنها⁴⁴، إضافة إلى الضغط والتضييق الذي عانوه من الحكام بسبب التعصب لمذهب ما⁴⁵، كما كانت تقع بعض المنازعات بين الطلبة وشيوخهم، فاضطر بعض الطلبة إلى مغادرة المدينة ومثال ذلك ما وقع بين أبو حيان الأندلسي، والذي غادر الأندلس سنة 609هـ/1300م وشيخه أحمد بن علي بن الطباع حيث كان كثير الاعتراض على شيخه إذ صنف كتابا سماه "الإلماح في إفساد إجازة الطباع" حيث رفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن الفقيه، فاضطر أبو حيان لمغادرة الأندلس⁴⁶. كما كان للقضاء دور في ارتحال الكثير من العلماء وذلك لكونه من أسمى الوظائف الدينية وأصعبها حيث كان الكثير من العلماء يرفضها وهو ما حصل لأبي عبد الله المقرئ، حيث اشتغل بالقضاء لمدة معينة ثم كره الحكم بين الناس وفضل الارتحال⁴⁷، و نفس الأمر حصل للعديد من العلماء⁴⁸.

ومهما كانت الدوافع والأسباب التي دفعت بالعلماء والطلبة إلى الرحلة من الأندلس إلى المغرب الأقصى، فإن الأهم أن هذه الرحلات عادت بالنفع على الأندلس والمغرب الأقصى على حد سواء، خاصة في المجال الثقافي حيث ساهموا بقسط كبير في ربط العلاقات الثقافية بين البلدين.

2- دور سلاطين بني نصر في تنشيط الرحلة العلمية وازدهار الحركة الفكرية :

اهتم سلاطين بني نصر بالعلم وأهله، فكان العالم عندهم معظما من الخاصة والعامة⁴⁹، وبلغ من تقديرهم للعلم والعلماء من خلال إطلاق مدلول كلمة "الفقيه" عندهم مدلولاً رفيعاً، حتى أنهم كانوا يسمون الأمير العظيم بالفقيه مثل: محمد الفقيه⁵⁰. ولقد امتدح عبد الرحمن بن خلدون أهل علم الأندلس "بأن لهم من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم"⁵¹، كما ذكر المقري: «أن البلاغة لم تزل شمسها بالأندلس باهرة الآيات، ظاهرة الآيات، إلى أن استولى عليها العدو، وفي أهلها بقية لسان، وبراعة وتصوف في فنون الإجادة وبراعة»⁵².

كما كان سلاطين بنو نصر شديدي الاهتمام والاعتناء بالجانب الثقافي، كمحمد بن يوسف بن نصر (635-671هـ/1283-1272م) والذي كان يعقد مجلساً علمياً كل أسبوع، وتواصل الاهتمام بالعلم والعلماء خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، بحيث كان محمد الثاني أبو عبد الله المعروف بالفقيه (671-701هـ/1272-1302م) يؤثر مجالسه العلماء والكتاب، وقد شارك في الحركة

الأدبية بشعره⁵³، كما كان محمد الثالث (701-707هـ / 1302-1307م) هو الآخر محبا للعلم والعلماء ويقرض شعره⁵⁴.
لقد عرفت الحركة الثقافية والعلمية أوج ازدهارها في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (733-755هـ / 1333-1354م) حتى غدا بلاطه مضرب الأمثال في هذا الصدد، إذ نشطت حركة التأليف في تاريخ الأدب على يد جمهرة من الأدباء في مقدمتهم وزيره لسان الدين بن الخطيب، كما أكرم هذا السلطان العلماء الوافدين عليه مثل ابن مرزوق الخطيب (710-781هـ / 1311-1379م) الذي عينه خطيبا ومدرسا في جامع غرناطة⁵⁵، ومحمد الخامس (755-760هـ / 1354-1359م) بدوره كان محبا للعلماء ومقربا لهم، إذ في عهده دخل عبد الرحمن بن خلدون الأندلس (732-808هـ / 1332-1407م) فأكرمه أحسن إكرام⁵⁶.
عمل سلاطين بني نصر على تشيد المؤسسات التربوية والتعليمية من مساجد ومدارس ليتعلم فيها الطلبة العلم والعلماء الوافدين من المشرق والمغرب للاستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها. فكان اهتمام سلاطين بني نصر بالعلم والعلماء عن طريق تقييدهم من مجالسهم وحضور دروسهم وإجراء الأرزاق عليهم، إضافة إلى السماح لهم بالتنقل والانتقال من مختلف العلوم واستقدامها إلى بلدهم مما جعل غرناطة عاصمة الدولة حاضرة علمية وثقافية هامة تتوافد عليها قوافل العلماء وطلبة العلم من المغرب الأقصى خاصة ومن المشرق ودول المغرب الإسلامي عامة.

3- الحركة العلمية النصرية ومشاهير العلماء:

أ. العلوم الدينية:

لقد شهد عصر الدولة النصرية ازدهارا كبيرا في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، والتوسع في دراستها إلى مدى بعيد من الميل إلى التبسيط والتفريغ فيها، ودليل ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم، ووفرة مؤلفاتهم، واهتم كذلك سلاطين بني نصر بالقرآن الكريم وتفسيره وفهمه وذلك لاعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ومن بين أهم العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى دولة بني مرين ودرسوا بعض العلوم الدينية المتصلة بالقرآن الكريم كعلم القراءات فكان من مشاهير هذا العلم:

▪ أبو عبد الله الشريشي الحواز: (718هـ/1415م) وهو من شريش له تأليف عديدة في ميدان علوم القرآن ومنها "مورد الضمان في رسم أحرف القرآن" وله نظم آخر في رسم القرآن سماه "عمدة البيان" وتأليف آخر في رسم القرآن مثل مورد الضمان⁵⁷.

▪ أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي: (730هـ/1329م) ومن تأليفه التجويد ومختصره، والمنايع في قراءة نافع، وتركيب الأداء والجمع بين الروايات في الإقراء وتبين طبقات المد وترتيبها⁵⁸. أما في مجال الحديث فنجد:

▪ محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي: (778هـ/1376م) والذي ألف تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث، وأيضا الجامع المعد في جزأين⁵⁹.

- محمد بن خيار البننسي: سكن مدينة فاس حيث أخذ عن أبي بكر بن خير صحيح مسلم وسمع أبا محمد بن عبيد الله بسبته، ولقي بمراكش أبا عبد الله بن الفخار وكان فقيها مشاورا للتقليد مائلا إلى النظر والاجتهاد مشاركا في فنون العربية والأصول وعلم الكلام⁶⁰، وله عدة أبيات⁶¹.
- محمد بن يوسف بن مهدي المهلبلي: ورحل من غرناطة إلى فاس المتوفى سنة 659هـ/1260م والذي روى بفاس عن أبي محمد بن زيدان، وأبي البقاء ابن يعيش، وأخذ أيضا عن بن إلياس، والقاسم بن بقي وغيرهم⁶².
- محمد بن سعيد الطراز الأنصاري: المتوفى سنة 645هـ/1247م رحل إلى مدينة فاس وأخذ بها عن أبي بكر بن زيدان، وأبي البقاء بن يعيش وغيرهم، وحضر مجلس أبي العباس البقال وتفقه عندهما في علمي الكلام والأصول وانتفع بهما⁶³.
- عبد الحق بن خليل إسماعيل السكوني: رحل من لبله إلى فاس حيث قرأ علم الكلام وأصول الفقه عن أبي عمرو السلاجي وأحكم عنه العلمين، كما أخذ بفاس علم اللغة العربية عن أبي بكر بن طاهر.
- إبراهيم بن دهاق: ورحل من مدينة مالقة⁶⁴ والذي دخل فاس وروى عن أبي الحسن بن حنين وعلى بن إسماعيل بن حرزهم وحدث بالموطأ عنهما⁶⁵.
- محمد بن عبد الله الأنصاري: المتوفى سنة 630هـ/1232م الذي رحل إلى مدينة فاس في طلب العلم فأخذ بها عن أبي عبد الله بن زرقون⁶⁶.
- يوسف بن علي بن يوسف الأنصاري: والمتوفى سنة 622هـ/1224م والذي رحل

من مدينة مرسية⁶⁷، إلى فاس والذي أخذ بها كثير من العلوم كما رحل من حصن لبسة⁶⁸ إلى فاس، عبد الرحمن بن رجاء البلوي المتوفى عام 623هـ/1225م والذي أخذ بها عن أبي عبد الله بن الرمame وغيره.

■ أبو الحسن بن أبي الربيع: (ت 688هـ) وهو عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع الإشبيلي نزيل سبتة، وصفه ابن رشيد السبتي بشيخ النحاة وصدر العلماء⁶⁹، والإمام وكان يدرس طلاب العلم والعربية مثل القرآن الكريم وذلك بالقراءات السبع بكتاب التيسير لأبي عمر الداني، وقد ذاع صيته داخل المغرب⁷⁰ كما صنف عدة كتب منها شرح الإيضاح والملخص للقوانين الفقيه للجزولي⁷¹.

■ أبو حسن بن الخضار الكتامي: وهو أبو الحسن علي بن محمد بن الخضار الكتامي الإشبيلي وهو الإمام الأوحـد في العروض والقافية⁷² وكان محكما للقراءات وحفظها نحويا وهو من أشهر علم الكلام وأصول الفقه⁷³ كما سمع عليه ابن رشيد العروض والنحو⁷⁴.

■ أبو الحكم ابن منظور: (686هـ) وهو أبو الحكم بن أبي جعفر أحمد بن يحيى بن منظور الإشبيلي وهو الشيخ الفقيه العدل وهو الشيخ الولي الصالح وأحد مصادره في كتاب إفادة النصيح⁷⁵.

■ أحمد بن محمد بن عمر بن عاشو الأندلسي الأنصاري: (764هـ) وهو الحاج الفقيه الزاهر اشتغل بتعليم القرآن الكريم، قدم فاس وأقام مدة ثم رحل إلى مكناسة واستوطنها ثم انتقل إلى سلا فترل برباط الفتح بزواية الشيخ أبي عبد الله البالوري⁷⁶.

أما في التصوف فنجد:

▪ ابن سبعين المرسى: (614-669 هـ/1218-1270م) وهو أبو محمد بن عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المشهور بابن السبعين والملقب بقطب الدين، من أهل مرسية، فيلسوف ومتصوف مشهور درس العربية والأدب بالأندلس، والتصوف بسبته⁷⁷، وترك العديد من المؤلفات أهمها كتاب الدرج، السفر، الإحاطة، إضافة إلى رسائل كثيرة في الأذكار والوصايا والمواعظ⁷⁸.

▪ ومن بين المتصوفة الأندلسيين كذلك - محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي والذي كان يقوم بمعوانة السلطان أبو عنان في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر وكذلك استعان به السلطان للضرب على أيدي المعتدين والعابثين⁷⁹، فقد حظي المتصوفة بتقدير سلاطين بني مرين، واحترامهم، فكانوا يحفظون لهم مكانتهم ويقدرهم لهم دورهم الديني ومكانتهم العلمية والصوفية وذلك لأنهم كانوا متضلعين في مختلف العلوم والمعارف فكان لهم دور مهم في خدمة التصوف على أسس صحيحة.

▪ هذا إضافة إلى بعض علماء المذهب المالكي وأشهرهم - أبو محمد عبد الله القشتالي، المدرس بمدرسة الحلفاوين، والذي كان يدرس فيها مختصر المدونة للبرادعي⁸⁰. ولقد كان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب، فأبو الحسن المريني كان يحرص على أن تقرأ بين يديه المؤلفات العديدة في المذهب المالكي، وكان يصغي جيدا لما يلقي عليه من أدلة أهل السنة وبيان مذهبهم لهذا حظي علمائه سواء بالمغرب أو الذين وفدوا من الأندلس لتدريسه

بحفاوة كبيرة من طرف سلاطين بني مرين. **ب. العلوم اللسانية:**

ولقد كان هناك الأدباء الأندلسيين والذين حذقوا فن الكتابة، حيث ازدهرت كثيرا في العصر المريني بسبب وجود عدد كبير من مشاهير الكتاب ومن بينهم:

- **خلف القبتوري:** وهو أبو القسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف القبتوري الإشبيلي الغافقي وصفه ابن رشيد بشيخ الكتاب وخاتمة أهل الآداب وكان محدثا ونحويا ولغويا، ولازم ابن رشيد السبي وأفاده من أدبه وله تصانيف ومنظومات رواها المنتوري صاحب الفهرست وروى عنه الحضرمي جميع رحلة ابن رشيد⁸¹.

- **أبو القاسم بن جزي:** (741-757هـ) وهو محمد بن أبي محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي الكلبي وهو الوزير الأجل الحسيب الأصيل المعمر، لقد كان كاتباً عند السلطان يوسف الأول لكن غضب السلطان عليه، مما حمله على مغادرة الأندلس والانتقال إلى المغرب حيث اتصل بالسلطان أبي عنان المريني وقد توفي بمراكش تاركا مجموعة من القصائد في موضوعات متنوعة⁸².

- **أبو ذر مصعب بن أبي بكر بن مسعود بن عبد الله:** وهو المحدث النحوي الجليل القدر أصله من جيان رحل إلى فاس وكان ناقدا للشعر ومتقدما في إلقاء كتاب سبويه ومعرفة أغراضه وغوامضه⁸³.

- **ابن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي:** استقر بالمغرب بسلا واستوطن بها رئيس المدرسة، مجهر ابكرسيها فارغا بمنبرها بالواردة السلطانية ودرس

الفقه⁸⁴ وهو إمام في اللغة العربية، ذاكرا للغات والآداب قائم على التفسير.

- إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى: ت 713 هـ وهو من فحول الشعراء له تقدم في طريقة أشعار العرب والمحدثين⁸⁵ وكان من أئمة الحضرة ومشيخة الكتاب، تقدم لمشيخة الكتاب⁸⁶، اتصل بأبي الحسن بالعباد ثم أصبح في خدمة السلطان أبو عنان فارس وكاتب سره، قال عنه الحضرمي «صاحبنا الكاتب البارع الأديب البليغ الناظم الناثر المتفنن»⁸⁷ له عدة تأليف: جزء في بيان الاسم الأعظم كثير الفائدة، وجزء في الفرائض ورجز الجدل وكتاب اللباس والصحة جمع فيه طرق المتصوفة المدعى أنه لم يجمع مثله.

- أبو حيان الغرناطي النحوي: (745هـ/1344م) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبي حيان الغرناطي، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث بالأندلس، كما حصل على الإجازات من علماء المشرق والمغرب، وهو ناظم وناثر ووشاح، ومفسر ومحدث، وكان له معرفة بتراجم الرجال خاصة من المغاربة، توفي بالقاهرة سنة 745هـ/1246م، وترك العديد من المؤلفات منها، البحر المحيط في التفسير إتحاف الأديب بما في القرآن من غريب، غاية الإحسان في النحو⁸⁸ منها كتاب الأسفار في الملخص من كتاب الصغار شرحا لكتاب سبويه وكتاب التجريد لأحكام سبويه.

- محمد بن علي بن حياي الغرناطي النحوي: (781هـ/1379م) وهو من أشهر علماء النحو والذين تألقوا في العصر المريني وهو مشهور بالنحو والتحقيق⁸⁹.

- أبو الحسن علي القلصادي: (891هـ/1437م) وهو علي بن محمد القرشي البسطي، أصله من الأندلس وقام برحلة في المغرب الإسلامي⁹⁰، وكان يعقد الحلقات العلمية ويتولى الإقراء، ولقد ترك القلصادي مجموعة من المؤلفات في الحساب والفرائض والفقه والنحو والعروض والمنطق والتراجم والقراءات والحديث⁹¹ منها عتية أولي الألباب في شرح كشف الجلباب، كشف الأسرار في علم الغبار، كشف الجلباب عن علم الحساب، شرح الأرجوزة الياشمينية، شرح مختصر خليل، شرح جمل الزجاجي، شرح إيساغوجي، شرح حكم ابن عطاء الله⁹²، وتعد رحلته التي دون فيها مشاهداته وعرف فيها بالعلماء الذين التقى بهم من أهم مصادر التراجم⁹³.
- أحمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالرصافي: (ت 650هـ) ودرس على يد شيخه أبو الحكم مالك بن الموحد ولازم الجماعة والقراءة وكان من جملة الكتاب واستقر بسبته⁹⁴.
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي أبو جعفر: (ت 702هـ) ولد بالمرية⁹⁵، ورحل إلى سبته ثم عاد إلى الأندلس أوكب على تعليم العلم والأدب وتدريس العربية واللغة، وكان إماما في علم العربية وكانت له مشاركة في علم المنطق⁹⁶.
- أحمد بن عبد الله بن يوسف الكلاعي: (ت 727هـ) ورحل إلى مدينة سبته وسكن فيها وأخذ عن مجموعة من الشيوخ بسبته ثم عاد إلى الأندلس⁹⁷.
- إبراهيم بن أحمد بن عيسى الفافقي الإشيلي الشبتي: (ت 716هـ) وقرأ الموطأ

والشفاء وقرأ بالروايات، كما قرأ كتاب سبويه ويدرس العربية، وشرح كتاب الجمل، صنف كتابا في قراءة نافع ونزل سبته وصار شيخها وساد أهل المغرب⁹⁸.

• إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الشنوشي أبو اسحاق: ويعرف بابن أبي العاصي الخطيب وأصله من طريف⁹⁹، وانتقل إلى سبته فأقام بها مدة سنة 671هـ ولقي مشيختها وأخذ عنهم، ثم انتقل إلى غرناطة إلى أن أقدم للخطبة والإمامة بجامع غرناطة سنة 716هـ، وجمع بين القراءة والتدريس فكان مقرئا للقرآن مبرزاً في تجويده مدرسا للعربية والفقهاء أخذوا في الأدب، متكلماً في التفسير¹⁰⁰.

أما في مجال الشعر فقد وفد إلى المغرب الأقصى عدد كبير من الشعراء الأندلسيين وشغلوا أرقى مناصب الدولة، وذلك بفضل ما تمتعوا به من ملكات أدبية وشعرية نتيجة رحيلهم إلى المشرق، حيث جمعوا في أسلوبهم بين رقة المشاركة وجزالة المغاربة ومن هؤلاء الشعراء، ابن الحاج النميري الغرناطي فقد عرف بشعره والتي روى بعضها المقرئ في كتابه نفح الطيب، ومن بينها قصيدة من خمسة وثلاثين بيتاً، يهنئ فيها الشاعر السلطان أبا عنان عند شفائه من مرض ألم به¹⁰¹. ومنهم أبو القاسم بن رضوان النجاري، الذي تولى وظيفة الإنشاء بباب سلطان المغرب أبي عنان المريني¹⁰².

إضافة إلى لسان الدين بن الخطيب وهو أشهر الشعراء الأندلسيين، الذين عاشوا فترة طويلة في ربوع الدولة المرينية، وكانت له عدة قصائد طويلة أشهرها قصيدة مدح فيها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان والقصيدة تزيد على

المائة بيت يقول في مطلعها.

أطاع لساني في مديحك إحساني * وقد لهجت نفسي بتفتح تلمسان.

وكان ابن الخطيب قد كتب قبل هذه القصيدة نثراً، خاطب به السلطان أبا سالم المريني حيث ورد على ابن الخطيب وهو مقيم بسلا رسالة تخبره بفتح أبي سالم لتلمسان، وكانت هذه الرسالة بمثابة برقية كهنة منه لأبي سالم المريني¹⁰³، وكانت أول أعمال ابن الخطيب الأدبية المغربية قصيدته التي أنشدها بين يدي السلطان أبي سالم المريني في حفل مشهود حين قدومه إلى المغرب، وكانت هذه القصيدة بداية الحياة ابن الخطيب الأدبية المغربية، وفي مطلع هذه القصيدة يقول¹⁰⁴:

سلاهل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادي وذر به الدهر.

وهل باكر الوسمى دامر على اللوى * عفت أيها إلا التوهم والذكر.

وتميزت أشعار ابن الخطيب المغربية بطول النفس، فكثر من هذه الأشعار كان من المطولات، وهذا يدل على ارتباط الشاعر النفسي ببني مرين، ولقد تنوعت الأغراض التي قيلت فيها هذه المطولات، بين الأغراض السياسية والاجتماعية فمن مطولات ابن الخطيب¹⁰⁵ التي خاطب بها السلطان أبا عنان المريني على إثر انصرافه من بابه¹⁰⁶.

لقد كان لانتشار علماء الأندلس في مدن المغرب الأقصى، وتنقلهم بينها، إلى جانب المدارس التي أنشأها المرينيون، فرصة عظيمة لإذكاء الحركة الفكرية في المغرب الأقصى وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة في أرياف

المغرب الأقصى وبواديته¹⁰⁷، والجدير بالملاحظة أن هؤلاء العلماء تركوا بصماتهم على كثير من جوانب الحياة في المجتمع المريني والأندلسي سواء من الناحية السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية.

دور الرحلة العلمية في ربط العلاقات بين البلدين.

للرحلة العلمية دور كبير في تنشيط الحركة العلمية، حتى أنها كانت تعتبر الشرط الأساسي في طلب العلم، وذلك ما عبر عنه عبد الرحمن ابن خلدون في قوله: «الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال»¹⁰⁸ ولذلك كان علماء المغرب الأقصى والأندلس يتنقلون بين أرجاء المغرب والمشرق للقاء أكابر العلماء والأخذ عنهم، إضافة إلى ممارستهم لمهنة التدريس أو الخطابة أو القضاء في البلدان التي نزلوا بها.

ونتيجة لاتساع رقعة العالم الإسلامي أصبحت بعض المدن مراكز علمية وثقافية مثل مكة والمدينة وبغداد والبصرة والقاهرة ودمشق والقيروان وغرناطة وفاس ومراكش، وذلك لأن الرحالة كانوا ينتقلون بين هذه المدن بحرية مطلقة فكان هذا العامل مشجعا على ظاهرة الارتحال بين أقطار العالم الإسلامي وعاملا مهما في تنميتها ثقافيا ومدنيا.

فهناك من الرحالة من كان يعكف على تدوين العلم في أمهات الكتب، فبقيت موارد صافية لكل طالب على مدى الأزمان. وعلى الرغم من تباين الظروف المناخية واختلاف الأمزجة والأعراف الاجتماعية، إلا أن نمو العلاقات المختلفة نتيجة الرحلات، جعل أجزاء المجتمع المريني والأندلسي تلتقي في تيار

الحضارة الإسلامية، والتي ميزت هذين المجتمعين عن غيرهم من المجتمعات، فلولا الرحلة العلمية في طلب العلم لوجد طابع فكري محلي في كل مدينة من المدن الإسلامية، وذلك بسبب العزلة العلمية، لكن الروح العلمية والهمة العالية التي تحلى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز في العالم الإسلامي.

لقد كانت الرحلة المرينية إلى الأندلس، تعتبر الرافد الفذ الذي كان يثري الحركة العلمية في الأندلس، حيث كان للعلماء المرينيون الأثر المباشر على الحضارة الإسلامية في الأندلس، حيث ساهموا بشكل كبير في دفع عجلة الحركة العلمية في الأندلس¹⁰⁹، فلقد وفد على الأندلس من المغاربة لينهلوا العلم من معاهدها، حتى أن الكثير من قضاة المغرب وعلمائه كانوا ممن تلقوا علومهم في مراكز العلم بالأندلس، ومن هنا يتبين انعكاس الرحلة العلمية على المغرب الأقصى والأندلس والتي كان لها آثار كبيرة، إذ كانت تمثل منبعاً غنيا بالخير والنشاط الدائم، ووسيلة تمهّد إلى تحقيق التبادل الثقافي والتعاون الفكري، بين المراكز الثقافية في ربوع المغرب الأقصى والأندلس، ويمكن ذكر أثر الرحلة العلمية ومزاياها على العلم والتعليم بالمغرب الأقصى والأندلس ما ذكره ابن خلدون في مقدمته في قوله: «والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علماً وتعلماً وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا مباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها»¹¹⁰.

كما كانت تعتبر الرحلة العلمية فترة اتصال مستمر ورحلة دائمة أفرزت علاقات وطيدة بين البلدين.

كان للرحلة العلمية دور كبير في ربط علاقات متنوعة وقوية بين دولة بني مرين ودولة بني نصر، نتيجة رابطة الدين الإسلامي ورابطة الجوار، ورابطة الحج خاصة وأن أهم طريق للحجيج الأندلسيين كان عبر الأراضي المرينية ولقد كان للحكام والملوك والعلماء دور كبير في تمثيلها، ومن هنا كان للرحلة العلمية أثر كبير في تنوع وثراء العلاقات بين الدولتين خاصة في الجانب الثقافي، فلقد وطدت العلاقة الثقافية والتبادل العلمي بين البلدين، وذلك طيلة فترة العصور الوسطى، حيث أصبحت الحواضر الكبرى خاصة غرناطة ومراكش وفاس تستقبل الطلاب والعلماء الوافدين عليها.

لقد قام العلماء الذين كانوا يرتحلون بين البلدين بنسج علاقات ثقافية وعلمية قوية مع أقرانهم، من خلال الجلسات العلمية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء والعلوم والمصنفات والمستجدات في المسائل الفقهية والعلمية المختلفة، حيث اختلطوا وتبادلوا المعارف مع الفقهاء، وفي جميع المذاهب ودون تميز مما أدى إلى توسع المعارف العلمية لدى علماء البلدين.

أسهمت رحلة العلماء إسهاما فعالا في نقل التراث وإشاعته والمحافظة عليه، كما ساعدت على تماسك المجتمع الإسلامي¹¹، ويتجلى ذلك في المناظرات العلمية المعقودة، والحلقات الأدبية المشهورة والمجالس التي كانت تتناول صنوفا شتى من المعارف والعلوم، من تفسير وحديث وفقه وأدب ولغة

ونحو وتاريخ وطب وغيرها¹¹². كما قام هؤلاء الرحالة بإغناء المكتبة العربية بشتى ألوان المعرفة وذلك بفضل المراكز الثقافية المنتشرة في البلدين.

ولا شك أن توافد الكثير من رجال العلم على الدولتين، أدى إلى تكوين أجيال من العلماء والجدير بالملاحظة أن معظم هؤلاء باشرُوا التدريس مدة طويلة من حياتهم إلى جانب التأليف ووظائف أخرى كالقضاء والإفتاء، وتكون على يدهم عدد كبير من طلبة العلم الوافدين من البلدين، فكان لرحلات العلماء والطلبة أثرا كبيرا وفعالا في تنشيط الحركة العلمية وازدهارها، وفي نشر العلم وخدمة الثقافة العربية الإسلامية، مما جعل المغرب الأقصى والأندلس في ازدهار حضاري كبير، فشكلتا بذلك أهم مركز إشعاع ثقافي بالمغرب الإسلامي.

لقد كان للرحلات العلمية أثر كبير أيضا في توسيع دائرة العلماء العلمية والثقافية، وعلو مقامهم العلمي بين علماء عصرهم في البلدان الأخرى، فمن أهم ثمار الرحلة العلمية تلك الكتب العلمية والمعرفية والتي كان لها بلا شك الأثر الكبير في دفع علماء وطلاب علم البلدين نحو الدراسة والبحث في مسائل العلم المختلفة أدى إلى تفوقهم العلمي وتشعب مهاراتهم العلمية في أكثر من علم.

ولقد ساهمت الرحلات العلمية أيضا في ربط علاقات ثقافية بين الدولة النصرية والمرينية في التواصل الفكري، وذلك عن طريق التنقل بين العواصم العلمية لانتهاال والتحصيل والتدريس، مما نتج عنها وجود حوار فكري، ومناظرات علمية هامة بين مختلف الرحالة العلماء و الطلبة وذلك بهدف الخروج من الثقافة المحلية

والخوض في مختلف العلوم، إضافة إلى تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية والتعمق أكثر في دراستها، والاستزادة من العلوم والإجازة¹³، وازداد التأثير الثقافي والفكري من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء المرينين والنصريين والذين تزودوا بمعارف المشرق لينقلوها إلى بلادهم.

كما زادت في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين من خلال الحرص الشديد الذي أظهره سلاطين بني نصر وبني مرين، والتقرب من العلماء الرحالة والاهتمام بهم، كما أتاحت الرحلة العلمية فرصة للتلاقح الفكري ودعم الروابط بين الإقليمين أما عن دورها فيكمن في تداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات، كما ساهمت بقسط كبير في إثراء النهضة الفكرية والتعليمية، كما جعل العلماء والطلبة الرحالة يتركون آثارا علمية وبصمات فكرية في المغرب الأقصى وغرناطة.

وإذا كانت الرحلة العلمية قد ساهمت في إثراء النهضة الفكرية والتعليمية، كما جعل العلماء والطلبة الرحالة يتركون آثارا علمية وبصمات فكرية في المغرب الأقصى وغرناطة، فإنها كانت قد ساهمت أيضا في تعزيز الروابط الثقافية بين البلدين من خلال تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية والتعمق أكثر في دراستها، والاستزادة من العلوم والإجازة، وازداد التأثير الثقافي والفكري من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء المرينين والنصريين والذين تزودوا بمعارف المشرق لينقلوها إلى بلادهم.

الهوامش

- ¹ بناها يوسف بن تاشفين سنة وسبعين وأربع مائة، اشترى أرضها من أغمات، ويقول المراكشي وهي آخر المدن بالمغرب، اختطها ملك لمتونة تاشفين بن علي وبنو فيها قصورا لم يكن لمثلها ملك، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص.ص 233-234، المراكشي، المصدر السابق، ص507.
- ² رشيد الزواوي، "التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، أفريل 1993، ص395.
- ³ سلطاني الجيلالي، الحركة الثقافية والفكرية في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي، المعهد الوطني للتعلم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، د.ت، ص290.
- ⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁵ نفسه، ص291.
- ⁶ ابن الآبار، المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصديقي مجريط، مطبعة روخس 1885، ص195، الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرتبة العليا فيمن يستحق الفتيا، تح، ليفي بروفنسال، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948، ص102.
- ⁷ ابن الآبار، المصدر السابق، ص287.
- ⁸ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج1، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1972، ص.ص 123-124.
- ⁹ الجزنائي، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح الفرد بيل، مطبعة باستير جوزدان، الجزائر، 1922، ص99.
- ¹⁰ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج1، ص122.
- ¹¹ وهو أبو الحسن الصغير يدرس المذهب المالكي بجامع الأصدع في فاس، وكان يحضر مجلسه نحو من مائة نفس، واشتهر عنه أنه كان يفتح في مجلسه أكثر من ثمانين كتابا فيعرضها حفضا عن ظهر قلب وله مؤلفات أهمها كتاب "نفرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير"، الكتاني، المصدر السابق، ص147.
- ¹² المصدر نفسه، ص253، ابن القاضي، المصدر السابق، ص84.
- ¹³ ابن القاضي، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ص46.

- ¹⁴ ومن أعلامها القاضي محمد بن نوح الغافقي قاضي بلنسية امتدحه بقصيدة أولها:
- تخبرت فأنهض في رضا الله واصعد * وحل على التوفيق ما شئت واعقد .
- حبانا فأحيانا بما في عزمه * على الحق منصور عليه مؤيد .
- ¹⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص187.
- ¹⁶ التمكني أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج1، ص100.
- ¹⁷ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص187.
- ¹⁸ التمكني أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج1، ص319.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ج1، ص91.
- ²⁰ ابن القاضي، المصدر السابق، ص46.
- ²¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص62.
- ²² نفسه، ص42.
- ²³ ومن هذه التأليف كتاب ما يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء المغتربين، وما يجب في ذلك من الولاة الأمرين وعلى جميع المسلمين وله أرجوزة في علم الأصول، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص82.
- ²⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص45.
- ²⁵ مؤلف مجهول، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، تح، عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط 1972، ص123-124.
- ²⁶ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ²⁷ التمكني أحمد بابا، المصدر السابق، ج1، ص86.
- ²⁸ محمد الخطيب ابن مرزوق، المصدر السابق، ص375.
- ²⁹ التمكني أحمد بابا، المصدر السابق، ج1، ص236-237.
- ³⁰ ابن القاضي، المصدر السابق، ص10.
- ³¹ التمكني أحمد بابا، المصدر السابق، ج1، ص339-341.
- ³² نفسه، ج2، ص303.

- 33 محمد الخطيب ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 375.
- 34 التمكني أحمد بابا، المصدر السابق، ج 1، ص 262-263.
- 35 ابن البناء وهو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العباس بن البناء المراكشي كان أبوه بناء ولد في مراكش عام 654هـ/1256م قضى أغلب فتراته بها وهذا هو السبب في انتسابه لها وبها، أحمد بابا التمكني، المصدر السابق، ص 325.
- 36 ويعترف سميث وسارطون، بأنه من أحسن الكتب التي ظهرت في الحساب وقد ظل الغربيون يعملون به إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد، وكتب كثير من علماء العرب شروحا له وقد ترجم إلى الفرنسية عام 1864 ونشرت ترجمته في روما، أحمد بابا التمكني، المصدر السابق، ج 2، ص 333.
- 37 أحمد بابا التمكني، المصدر السابق، ج 1، ص 59.
- 38 المصدر نفسه، ج 2، ص 270.
- 39 حسن علي حسن، التعليم بالمغرب في عهد دولتي المرابطين والموحدين، حوليات، كلية دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، 1974، ص 64-65.
- 40 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 443.
- 41 وبنيت المدرسة النصرية سنة 749هـ/1349م من طرف أبي الحجاج يوسف النصري، Dhima, Op.Cit, P319.
- 42 حسن عزوزي، التأليف في القراءات في المغرب والأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، ج 1، أفريل 1993، ص 247.
- 43 ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 4، ص 204-205، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 129.
- 44 ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح، ألفريد بل، ابن أبي شنب المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920، ص 146-147.
- 45 وهو ما حصل مع العالم والشاعر أبو جعفر بن صابر الذي كان كاتباً للأمير أبي سعيد بن فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر، حيث كان على المذهب الظاهري وبنو الأحمر كانوا على المذهب المالكي، فتوعد السلطان بقطع يده التي كان يرفعها في الصلاة فغادر الأندلس، المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 3، ص 244-245.
- 46 المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 3، ص 186.

- ⁴⁷ عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، د.ت، ص 05.
- ⁴⁸ ابن مريم، المصدر السابق، ص.ص 68-70.
- ⁴⁹ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 1، ص 205.
- ⁵⁰ المصدر نفسه، ص 206.
- ⁵¹ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 88.
- ⁵² المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص.ص 115-116.
- ⁵³ لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 51.
- ⁵⁴ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 2، ص 358.
- ⁵⁵ لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 160.
- ⁵⁶ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 6، ص 64.
- ⁵⁷ محمد الكتاني، الأزهار العطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، ج 2، طبع حجر بفاس، 1314هـ، ص 114.
- ⁵⁸ المصدر نفسه، ج 3، ص 149.
- ⁵⁹ نفسه، ج 3، ص.ص 277-278.
- ⁶⁰ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 44.
- نجدد نسيانا كذا كل مالك * وثأمن أحيانا ولم يأتينا أمن.
- فأنا ولا كفران الله ربنا * لكابدن لا تدمري متى يومهايدنو.
- ⁶¹ أحمد ابن قاضي، جدوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ج 1، طبع حجر فاس 1309هـ، ص 286.
- ⁶² المصدر نفسه، ص.ص 283-284.
- ⁶³ مدينة مالقة بالأندلس على شاطئ البحر تقع بين الجزيرة الخضراء ومدينة المرية وهي مدينة عامرة أهلها كثيرة الديار، وهي من المدن القديمة التي عمرت حيث كثر قصد المراكب والتجار، ياقوت

- الحموي، معجم البلدان، ج5، دار الصادر، بيروت 1986، ص43.
- ⁶⁴ أحمد ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص90.
- ⁶⁵ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص577.
- ⁶⁶ مدينة مرسية بالأندلس وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وذلك عام 831-832م واتخذت دار للعمال وقرار للقواد وتقع على فم كبير يسقي جميعها مثل النيل في مصر ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، الحميري، الروض المعطار، ص539-540.
- ⁶⁷ حصن لبسة، Labas تتوسط بين مدينة غرناطة ومدينة وادي آش، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص246.
- ⁶⁸ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص352.
- ⁶⁹ ابن رشيد السبتي، المصدر السابق، ج7، ص49.
- ⁷⁰ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص6.
- ⁷¹ ابن رشيد السبتي، المصدر السابق، ج6، ص6.
- ⁷² ابن الآبار، المصدر السابق، ص373.
- ⁷³ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص270.
- ⁷⁴ ابن الآبار، المصدر السابق، ص278.
- ⁷⁵ ابن القاضي، المصدر السابق، ص123.
- ⁷⁶ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص334.
- ⁷⁷ المصدر نفسه، ج2، ص340.
- ⁷⁸ الكتاني، سلوة الأنفس، المصدر السابق، ج3، ص274-275. ابن القاضي، جدوة الإقتباس، المصدر السابق، ص192.
- ⁷⁹ المصدر نفسه، ج2، ص48.
- ⁸⁰ التمكني أحمد بابا، المصدر السابق، ص9، المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص352.
- ⁸¹ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص526.
- ⁸² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص42.

- 83 ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص.ص 116-117.
- 84 محمد الخطيب ابن مرزوق، المصدر السابق، ص376.
- 85 ذكر ابن الخطيب في الإحاطة: «نشأ على عفاف وطهارة ونظم الشعر وبلغ الغاية في جودة الخط، وحاصر بالأبيات وارسم في الإنشاء مع حسن صمت وجودة أدب وخط، وفي أثناء ذلك يقيد ولا يفتي، مع تحول العناية، مليح الدعابة» ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص343.
- 86 التبركي أحمد بابا، المصدر السابق، ج1، ص31.
- 87 القلصادي، المصدر السابق، ص.ص 280-284.
- 88 الكتاني، المصدر السابق، ج3، ص.ص 278-279.
- 89 القلصادي، المصدر السابق، ص.ص 96-109.
- 90 أبو الأجنان، مقدمة تحقيق رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص40-47.
- 91 ابن مريم، المصدر السابق، ص 142-143، التبركي، المصدر السابق، ص210.
- 92 عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008.
- 93 ابن القاضي، المصدر السابق، ص33.
- 94 إحدى بلاد الأندلس تقع على شاطئ البحر المتوسط جنوب غربي مالقة، ابن القاضي، المصدر السابق، ص123.
- 95 ابن القاضي، المصدر السابق، ص123.
- 96 المصدر نفسه، ص130.
- 97 نفسه، ص.ص 176-177.
- 98 طريف وهي مدينة سميت باسم أبي زرعة، طريف بن مالك من موالي البربر أول من عبر البحر إلى إسبانيا من قواد المسلمين، بعثه إليها موسى بن نصير سنة 91هـ ونجح في مهمته والمدينة تقع جنوبي غرب المثلث الإسباني مقابل الجزيرة الخضراء واسمها بالاسبانية Tarif، ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ص382.
- 99 ابن القاضي، المصدر السابق، ص.ص 179-180.

- 100 المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص.ص 108-121.
- 101 المصدر نفسه، ج6، ص.ص 106-112.
- 102 نفسه، ج5، ص.ص 37-40.
- 103 المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص.ص 85-89، ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، ص.ص 110-113، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص.ص 307-309.
- 104 لسان الدين ابن الخطيب (710-776هـ/1310-1375م) محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، أبو عبد الله لسان الدين بن الخطيب، ويعرف بابن الخطيب ذي الوزارتين، ولد بمدينة لوشة وانتقل إلى غرناطة أين درس على أكابر علمائها واشتغل بها في عدة مناصب كديوان الإنشاء ولوزارة والسفارة في عهد السلطان أبي الحجاج (ت 755هـ/1354م)، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص.ص 404-405، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص.ص 99.
- 105 نفسه، ج6، ص.ص 451-459.
- 106 ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح إلى اليوم، ط3، تر عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص394.
- 107 ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص588.
- 108 محمد الحميدي، جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (د.م) القاهرة، 1966، ص367.
- 109 ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص509.
- 110 للألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ط1، دار العلم القاهرة، 1962، ص130.
- 111 للألدوميلي، المرجع السابق، ص130.
- 112 رشيد الزواوي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، 1993، ص.ص 324-339.
- 113 عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص327.